﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨﴾ [الجاثية: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لشدّة قبح الافّاك بيَّن الله صفتَه

لمّا ذكر الأفّاك الأثيم بيَّن صفتَه وفسّره بقولِه ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ الآيةَ[1].

وأيضًا لمّا قال الله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا﴾ وكانت التّلاوة متعلِّقةً بالسّماع، ولما ذكر الله تعالى الأفّاك في قولِه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ وكان الأصل في الإفك هو صرفَ الكلام المسموع عن الحقِّ إلى الباطل ناسب أن يذكر من أوصافِه الّتي استحقَّ بها أن يسمَّى أفّاكًا أثيمًا، فقال تعالى ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُصِرُّ﴾: أصلُ (صرّ) من الصَّرِّ، وهو: الجَمْعُ والشَّدُّ، فيُقالُ: أصرَّ الحِمارُ أُذُنَيْه، أيْ: نصبَهما وعَزَمَ على الشَّدِّ، وصَرَرْتُ الصُّرَّةَ: شَدَدْتُها[2]، والإصرار: الإقامةُ على الشَّيء ومُلازمتُه والدَّوامُ عليه، وأكثَرُ ما يُستعمَلُ في الشَّرِّ والذُّنوبِ والآثامِ، يُقالُ: أصَرَّ على الذَّنْبِ، يُصِرُّ، إصرارًا، فهو مُصِرٌّ: إذا لم يُقلِعْ عنه[3]، ويُطْلَقُ على العَزْمِ والتَّصميم، من قَوْلِهم: أصرَّ على فِعلِهِ إصرارًا: إذا عَزَم على أن يَمضِيَ فِيهِ ولا يَرْجِعَ عنه[4]، والمراد بالإصرارِ في الآية: المقامُ في الذَّنْب وعدمُ الانفكاكِ عنه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 69.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (صر).
(3) ابن منظور، لسان العرب، وابن الأثير، النهاية: (صرر).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (صرر).

2) ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: أصْلُ (كبر) يدلُّ على الامْتِناعِ وعَدَمِ الانقيادِ، يُقال: تَكَبَّرَ البَعِيرُ: إذا امْتَنَعَ ولم يَنْقَدْ[1]، والكِبْرِ: التَّعاظُمُ والاتِّصافُ بِالعَظَمَةِ، ويُقال له أيضًا: التَّكَبُّرُ والاستكبارُ، وضِدُّهُ: التَّواضُعُ والتَّصاغُرُ، والمُتَكَبِّرُ: المُتعالي والمُتعاظِمُ[2]، والمراد بالمستكبر في الآية: المُبالغُ في عَدَمِ قَبولِ الحَقِّ؛ تَرَفُّعًا وتَجَبُّرًا، واحتِقار النّاسِ والتَّعاظُم عليهم.

3) ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أصلُ (بشر) يدلُّ على ظُهورِ الشَّيء مع حُسْنٍ وجَمالٍ، فالبَشَرَةُ ظاهرُ جِلْدِ الإنسانِ؛ وسُمِّيَ البَشَرُ بَشَرًا لظُهورهم، والبشيرُ: الحَسَنُ الوَجْه، والبَشارَةُ: الجَمالُ[3]، والمُبشِّرُ: المُخبِرُ بالبُشرى، والبِشارَةُ: الحادِثُ المُسِرُّ لِمَنْ يُخْبَرُ بِهِ والوعد بالعَطِيَّةِ[4]، والبُشرى: الخبر الَّذي يُغيِّر البَشَرة مِن حُزْنٍ أو سُرورٍ، ثمَّ خُصَّ في عُرْفِ اللُّغة بالسُّرور، ولا تكون إلّا بالخبر الأوَّل[5]، والمقصود بالبشارة في الآية: الإخبار بما يسرّ على طريقةِ التَّهكُّم[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بُيِّن الله سبحانه حال هذا الأفّاك المستحق للويل، فيقول: يسمع هذا الأفّاك الأثيم آيات الله من القرآن الكريم تتلى عليه وتقرأ، ثم لا يلبث بعد سماعها أن يغلبه جهله ويشدّه عناده وكفره، فيعرض عنها ويصرُّ على إنكارها، ويقيم على هذا الكفر ويلازمه مستكبرا عن الإيمان بما سمعه متعظِّمًا في نفسه عن الانقياد للحقّ مثل غير السّامع أصلًا، فبَشِّرْ - يا محمَّدُ - هذا

إنـــذار شـديـد التَّأثير لكلِّ من اسـتـكـبر عـن الحقِّ عند سماع آيات الله

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (كبر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 53.
(5) النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، ص: 267، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 184.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 332.

الأفّاكَ الأثيمَ المُعرِضَ عن آياتِ الله، المُصِرَّ على كُفرِه وباطِلِه: بعَذابٍ موجِعٍ شَديدِ الإيلامِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الفصل في الآية:

تـعـدُّدُ أوصـافِ الأفّـــاك الـتـي يـسـتـحـقُّ بـها العذاب الأليم

الظّاهر أنَّ جملة ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ نعتٌ آخر للفظ ﴿أَفَّاكٍ﴾[2]، لزيادة الإيضاح والبيان في وصف الأفّاك الأثيم، بمعنى أنَّ هذا الأفّاك متّصف بأنَّه مبالغٌ في ارتكاب الإثم وبأنَّه يسمع آيات الله تتلى عليه ثمَّ يصرّ مستكبرًا معاندًا لآيات الله، ليفيد الكلامُ تعدّدَ أوصافِه التي يستحقُّ بها العذاب الأليم، وتحتمل أن تكون حالًا من الضّمير المستتر في ﴿أَثِيمٍ﴾، ليفيدَ أنَّ اتّصافَه بكثرة ارتكابِه للإثم في حالِ إصرارِه على الاستكبار عن آيات الله، فيفيد الحال بيان سبب كونِه أثيمًا، ويحتمل أن تكون الجملة استئنافًا بيانيًّا، لتكون جوابًا عن سؤال تقديره: ما هو وصفُ الأفّاك الأثيم؟ فقيل: ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾، وقد ذكر هذه الأوجهَ الإعرابيّةَ علماءُ إعراب القرآن والمفسّرون[3].

فائدة تعلّق الفعل ﴿يَسۡمَعُ﴾ بالمفعول:

إقـامـةُ الـحـجّـة على السّامع

تعلّق الفعل ﴿يَسۡمَعُ﴾ بالمفعول ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛للإيذانِ بأنَّه يسمع آيات الله حقيقةً لا بالإخبار عنها بالغيب، فالحجّة قائمة عليه.

دلالة التّعبير بصيغة المضارع في الأفعال (﴿يَسۡمَعُ﴾، ﴿تُتۡلَىٰ﴾، ﴿يُصِرُّ﴾):

عبّر بصيغة المضارع في الأفعال (﴿يَسۡمَعُ﴾، ﴿تُتۡلَىٰ﴾، ﴿يُصِرُّ﴾) للإيذان بتجدّد سماعِه وتلاوةِ آيات الله عليه وإصرارِه مستكبرًا

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 76، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 265، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 6، ومجمع البحوث، التفسير البسيط: 9/ 876.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 218.

(3) العكبري، التبيان: 2/ 1151، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 17/ 350، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 68.

وتكرار هذه الحالةِ عليه مرَّةً فمرَّة حتَّى صارت وصفًا له، بمعنى أنَّ تجدّد سماعه لآيات اللّه وتجدّد تلاوة آياتِه عليه لايزيده إلّا استمرارًا على الإصرارِ على التّكذيب والكفر؛ أي إنَّ حالة تجدّد السّماع تحملُه على استمرارِ تكذيب آيات اللّه بتكذيب رسولِ اللّه ﷺ فيما جاء به من القرآن وتكرير اقتراف الإثم، فلا جرمَ أن يكون أفّاكًا أثيمًا، فضلًا عن أنَّ شركَه باللّه تعالى كلَّه إفكٌ فوق إفكٍ وإثمٌ فوقَ إثم، ففيه تقبيح لحالِه وتعجيب منه[1].

تجدّد سماع الأفّاك لآيات الله وتلاوتها عليه لايزيده إلّا إصرارًا على التّكذيب

فائدة إعادة تركيب ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

أعاد ذكر المركّب الإضافي ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل مثلا (يسمع تلك الآيات) أو يسمع (آيات القرآن)؛ لتقرير قبح حالِه في إصرارِه على الاستكبار وعدم الانتفاع منها مع أنَّها آيات اللّه، فالإضافة أفادت أنّها آيات منسوبة إلى اللّه تعالى مختصّة به، وهي آيات صادرةٌ منه تعالى وليس من غيرِه، فهي آياتٌ عظيمة باهرةٌ واضحةٌ دالَّة على ألوهيَّة اللّه ووحدانيَّته وصدق رسولِه ﷺ، كما أنَّ في ذكر ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تمهيدًا لتقييدها بجملة الحال.

تقرير قبح حالِ الأفّاك في إصرارِه على الاستكبار عن آيات الله

سرُّ تقييد الفعل بالجملة الحاليَّة ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾:

قيِّدَ الفعل ﴿يَسْمَعُ﴾ بالجملة الفعليّة ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ التي هي حال من المفعول به ﴿ءَايَٰتِ﴾[2]، فالحال مقترنة بسماعِه لآيات اللّه، وسرّ تقييد الفعل بالجملة الحاليَّة بيان أنَّه ليس من الصّنف الّذين لا يسمعون آيات اللّه مطلقًا استغناءً بضلالِهم عن هدايته كما قال تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصّلت: 26]؛ بل هو من الصّنف الّذي يسمع آيات اللّه في حالِ تلاوتِها عليه ولا يؤمن بها استكبارًا عن الإيمان، بمعنى أنَّه عَرَفَ أنَّها آياتُ اللّه واستيقن

التّعجيب من أمرِ من يسمع آيات الله ثم يصرّ مستكبرا عنها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 332.

(2) العكبري، التبيان: 2/ 1151، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 68.

صدقَها، فهذه الآيات التي تتلى عليه هي نفسُها التي يتلوها على رسولِه ﷺ بالحقِّ؛ لتفيد الجملة الحاليَّة التّعجيب من أمرِه وتهويل خطرِ فعلِه كما تفيد التّمهيد لتبشيرِه بالعذاب الأليم، وفي التّعبير بلفظ ﴿تُتْلَىٰ﴾ إشارة إلى أنَّ قراءة الآيات عليه بوصف التّلاوة تستوجب اتّباعها والعمل بها والإقلاع عن الكفرِ والإفكِ والإثم، وليس الإصرار على الاستكبار عن الإيمان بها، كما أنَّ في التّعبير بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ تنبيهًا إلى أنَّه فهم معناها ومقاصدها.

دلالة التّعبير بالفعل المبنيّ للمفعول:

عبّر في الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ بصيغة المبنيِّ للمفعول للإشارة إلى أنَّه يصرّ على استكباره على الآيات من أيِّ تالٍ كان، فاستكباره من أجلِ أنَّها آيات الله وليس من أجل تالٍ معيّن يتلو هذه الآيات.

الاستكبار على آيات الله لأنها آيات الله

سرُّ العطف بـ: ﴿ثُمَّ﴾:

عبّر بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ ليفيد الاستبعاد الممزوج بالتّعجيب، ومعنى الاستبعاد الإيذان بأنَّ الفعل الذي يأتي بعدها ممّا يستبعد في العقول والطّباع أن يُقدَم عليه وممّا يُتعجَّب منه بعدَ ثبوت ما قبل (ثمَّ) وحصولِه، بمعنى أنَّ من يسمعُ آياتِ اللّه المتلوَّة عليه عَلَى قوّتها وظهورِها وكونِها حقًّا من المستبعد في العقول السّليمة، وممّا يتعجَّبُ منه إصرارُه على الضّلالة والإعراض واستكبارُه عن الإيمان بها، لتفيد ﴿ثُمَّ﴾ الاستبعادَ والتّعجيبَ من الإصرارِ والاستكبارِ عندَ سماعِ الآياتِ التي حقُّها أنْ تُذعِنَ لها القلوبُ وتخضعَ لها الرِّقابُ، وعلى هذا التّوجيه تكون ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخي الرّتبي، بمعنى أنَّه يصرُّ عندَ سماعِ آياتِ اللّه وليس إصرارُه متأخِّرًا عن سماعِ الآياتِ، وفيها استعارة تبعيَّة[1]،

من يسمعُ آياتِ الله المتلوَّة عليه من المستبعد إصراره على الاستكبار عن الحقِّ

(1) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 417، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 141، وابن عاشور، التحرير والتّنوير: 25/ 332.

ونظير (ثُمَّ) في المعنى المذكور قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: 1]، أي إنَّه تعالى لمّا كان خالقا للسّماوات والأرض وجاعل الظّلمات والنّور كان من المستبعد جعل هذه الأصنام مساويةً له في المعبوديَّة[1]، ويلمح من التّعجيب معنى التّوبيخ والتّقبيح لمن يصدر منه الإصرارُ على الإنكار والاستكبار، ليكون تمهيدا مقرَّرًا لتبشيرِه بالعذاب الأليم واستحقاقِه له.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿يُصِرُّ﴾:

أكثر ما يستعمل الإصرارُ في الإقامة على الذَّنْب

عبّرَ بلفظ﴿يُصِرُّ﴾ للإشعار بأنَّه يقيم على كفرِه ويلازمُه بشدّة عازما عليه عاقدا بحيث يمتنع عن الإقلاع عنه أو الانفكاك منه[2]، وأكثر ما يستعمل الإصرارُ في الإقامة على الذَّنْب[3].

سرُّ تقييد الفعل ﴿يُصِرُّ﴾ بالحالِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾:

اقتران الاستكبار عن الإيمان بالإصرار على الكفر يومئ إلى شدّة تلازمهما

لمّا كان الحال قيدًا لعاملِه وكان على معنى اقترانِه بصاحبِه أفاد تقييد الفعل ﴿يُصِرُّ﴾ بالحالِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ أنَّ استكبارَه مقترن بإصرارِه على الكفر وعدم الانتفاع من آيات الله، وأنَّه مستكبر عند إصرارِه، ليفيد اقتران الاستكبار عن الإيمان بالإصرار على الكفر، ليومئ إلى شدّة تلازمِهما، وقد دلَّ الحال وسياق الكلام على متعلَّق الإصرار المحذوف، والمعنى يصرُّ على كفرِه بآياتِ الله مستكبرًا عنها[4].

نكتة التّعبير بصيغة ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾:

المبالغة في التّشنيع على المستكبر

عبّر في الآية بصيغة مستفعل في قولِه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾؛ لأنَّه أبلغ في الذّمِّ من(متكبِّر)[5]، ففيه تشنيع بليغ على من هذا حالُه، كما أنّ في

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 286، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 672، وأنوار التنزيل: 5/ 106، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صرر).
(3) الكرماني، لباب التّفاسير، ص: 2805.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 332.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 417.

مجيء المشتقّ بصيغة استفعل إشارةً إلى أنَّه يجتهد في طلب الكبر وإيجادِه، وأنَّه معجب باستكبارِه

دلالة حذف متعلَّق ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾:

عموم المستكبر في استكباره

حذف متعلَّق الحال المشتقّ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ ليفيد عمومَ استكبارِه، بمعنى أنَّه مستكبر عن الإيمان بآيات الله وعن الإيمانِ بالرّسول ﷺ الذي يتلو آيات الله ومستكبر على المؤمنين.

التّوجيه النّحوي لجملة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾:

إصرارُ الأفّاك على الكفر واستكبارُه عن جهلٍ لا عن علمٍ

جاءت جملة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ حالًا أخرى من فاعل ﴿يُصِرُّ﴾، بيانًا للحالة التي يكون عليها حين إصرارِه مستكبرًا عن الإيمان، والتّقدير: ثم يصرُّ مستكبرًا مشابِهًا حاله حال من لم يسمعها، وإنّما جاء بالحال الثّانية لتنبيه المخاطبين أنَّ حالَه في وقت إصرارِه مستكبرًا حال من لم ينتفع بتلك الآيات، فإصرارُه واستكباره عن جهلٍ لا عن علم، ليفيد أنَّه لجهلِه وإصرارِه على الكفر مستكبرًا عن الإيمان يستحقُّ التّهكّم عليه والاستهزاء به وإيعاده العذاب الأليم، ويحتمل أن تكون جملة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ حالًا من الضمير المستكنِّ في ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، فتكون الحالُ من الحال المتداخلة؛ لتصوير حالتِه في وقت استكبارِه، بمعنى أنَّه في وقت استكباره مشابه حالَ من لم يسمع آيات الله، وهو جاهل بها، كما يجوز أن تكون مستأنفة[1]، لبيان جملة الأمر من سماعه آيات الله ثمَّ إصرارِه على الكفر واستكباره عن الإيمان، أي وجملة الأمر أنَّه يصير مشابهًا لغير السّامع لها.

بلاغة التّشبيه:

جاءت الجملة الحاليَّة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾على طريق التّشبيه، والمشبَّه هوضمير الشّأن المحذوف والمشبَّه به هو جملة ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾،

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 14/ 239، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 141.

ولمّا كان ضمير الشّأن يشير إلى حالةٍ أو أمرٍ بمثابة الحديث المهول، وكان القصد منه تفخيم هذه الحالة وتهويلها سواء كانت على طريق المدح أو الذمّ أفاد مجيئه أنَّ القصد تشبيه حالٍ عظيمة الخطر شديدة في الذّم وهي حالُ الذي يسمع آيات اللّه تتلى عليه ثمَّ يصرّ على كفرِه مستكبرًا عن الإيمان بحالِ من لم يسمع هذه الآياتِ أصلًا، ووجه الشّبه هو عدم الانتفاع من آيات اللّه التي تتلى عليه، وفائدة التّشبيه الإيذان بأنَّ سمعَه كلا سمعَ، ولهذا نفى السّمع عنه أصلًا، وفي هذا التّشبيه كنايةٌ عن وضوح معاني آيات القرآن وسهولة فهمِها والانتفاع منها بحيث إنَّ من يسمعها يصدِّقُ بما دلَّت عليه، فلولا إصرار الكافرين على كفرِهم واستكبارهم لانتفعوا منها حين سماعِها[1].

لولا إصرارُ الكافرين على كفرِهم واستكبارُهم لانتفعوا منها حين سماعِها

فائدة الفاء في ﴿فَبَشِّرْهُ﴾:

الفاء في قولِه ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ للتّرتّب والسببيَّة، أي إنَّه لمّا أصرّ على كفرِه مستكبرًا كأنَّه لم يسمع آيات اللّه تتلى عليه ترتّب عليه الأمرُ بتبشيرِه بالعذاب الأليم، والمعنى فبشّره على إصرارِه على الكفر بعذابٍ أليم.

ترتيب العذاب الأليم على الإصرار على الكفر

دلالة فعل الأمر في قوله﴿فَبَشِّرْهُ﴾:

لمّا أمر اللّه تعالى رسوله ﷺ بأن يبشّر الأفّاك الأثيم المصرَّ على الكفر بالعذاب الأليم أفاد بلازمِه الإعلانَ بالوعيد الذي سيصيبه.

إعلام المستكبر بالوعيد

الغرض من الأمر بالتّبشير بالعذاب الأليم:

لمّا كان الأفّاك الأثيم يصرُّ على كفرِه مستكبرًا، وهو مقيم على هذه الحالِ في الدّنيا ناسب أن يكون له جزاءان: أحدهما في الدّنيا وهو تبشيره بما يكون عليه حالُه يوم القيامة من العذاب الأليم والثاني حصول العذاب الأليم له في الآخرة.

تحقّق العذاب للمستكبر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 332.

بلاغة الاستعارة التّهكّميةّ:

الاستهزاء بمن يصرّ على الكفر مستكبرًا عن الإيمان والسّخريّة منه واحتقاره

في قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استعير اسم البشارة - التي هي إخبار بما يظهر سرورا وفرحًا فى المخبر به - للإنذار الّذي هو ضدُّه بإدخال الإنذار فى جنس البشارة، واشتقّ من البشارة فعل الأمر (بَشِّرْ) بمعنى (أنذِرْ) على طريق الاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة التّهكّميّة، وهي عناديّة؛ لأنَّ البشارة والإنذار لا يجتمعان[1]، والقرينةُ على إرادة الإنذار الإفصاحُ بلفظ العذاب، والغرض من هذه الاستعارة الاستهزاء بمن يصرّ على الكفر مستكبرًا عن الإيمان والسّخريَّة منه واحتقاره، فإنَّه لمّا كان يسمع آيات اللّه تتلى وكان مشابهًا في حالِه حال من لم يسمع لإصرارِه على الكفر واستكبارِه دلَّ ذلك على جهلِه، فناسب التّهكّم عليه والسّخريَّة منه، كما أنّ في الاستعارة التّهكّميَّة زيادة في العذاب؛ لأنَّ الكافر حين يسمع كلمة﴿فَبَشِّرْهُ﴾ يعتقد أنَّه سيسمع خبراً ساراً، فيأتي ذكر العذاب الأليم ليزيده غمًّا على غمٍّ[2]، والاستعارة التّهكّميَّة أسلوب من أساليب البلاغة يؤتى بها لبيان جهلِ المتهكَّم به واستحقاقِه لهذا التّهكّم بما يفعلُه من القبائح العظيمة الجسيمة.

نكتة وصف العذاب بـ ﴿أَلِيمٍ﴾:

المبالغة في تصوير شدّة الألم

لمّا كان مفهوم العذاب يدلُّ على الوجع والألم، وكان الأليم بمعنى الموجع الشّديد الوجع[3] أفاد وصف العذاب بـ: الأليم في قوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ المبالغة في المعنى، أي بعذاب موجعٍ بشدَّة، و﴿أَلِيمٍ﴾ إمّا بمعنى مؤلم فيكون مجازًا عقليًّا؛ لأنَّ المؤلِم هو الذي يعذِّب، وإمّا بمعنى صار ذا ألمٍ.

(1) الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 3/ 341.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1/ 205.
(3) الراغب، المفردات: (ألم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"